

مانفيسستو النوم

سفير اليوسف

الليل إن عبرته هاجعاً
تبعثُ خطواتك
في غابة
حطابوها بجم.

كتفي الأيمن
حيث عفوت
أمسى ذاكرة
تؤلم.

سريز ضئيل
يمنحني فضاؤه ليلاً
نشوة اجتياز
آلاف الأميال.

في نومي
أصير خربة مشرعة
لك وحدك
وللطير.

ليل أمس
بدد شعرك الموسكوفي
رباً النوم
ليل أمس
خصلك

لم نُحَصِّ ولم تُعدّ.

انامل الطويلة
يستعيرها قزم الأحلام
ليعجن بها فطيرة
تسرُّ رغبات الليل.

أيقظني المطر
فوجدت السرير
عارياً ووحيداً
على هضبة خضراء.

في نومي
تلتهم المسافة نفسها
كذلك يا أسفاً
تلتهم ركبتي.

هذا الليل
كأي آخر
ساحم لك نفري
يا أب الوحدة
كي لا تحضر.

تحت أفق النوم
تحت غطاءه
وحشتي هذه
أسماك كلية
وطحالب سامة.

يتقدم الوسن بسلاسة

تتراخي عظامي
تصير من خشب
وعندما يشد ستار النوم
أجدني معلقاً بخيطان كثيرة
دمية عرض.

إذ لا أعرف أين أجدك
أنام لأنهي المسألة.

سانام، فقد حان الحصاد.

في عالم النوم

ما زال
سرب الغاق الجائع
يئن بعيداً
عن احتمالك
الممدد.

عند أول النوم

ألد نفسي يتيماً
ينزلق جسدي مني
ينزلق هذا الأب الميت فوق السرير
وأترك

أنا الجنين
فوق أكوام من الهلوسات
آتية من الأعماق.

في نومي

أهجر جسدي
هكذا أيضاً
يهجره من يحته
في نومي أصير خربة
أثراً وبقايا.

لا أحد في نومتي
فالكل نيام

يتخطى الحلم هذه العتبة المردومة
تحت الأغطية والبطانيات

يجلس

يقف
يشعل سيجارة
ينبش
يبحث ويضع
بحركني كدمية
ينجز زيارته
وهي زيارة لا شيء إلى لا أحد.

في النوم

وقد سمقت
فوق مشاهد لطحه
أنزل ضفائر - الهاوية
درجة درجة

سوف أحفر في قلبك

فالأشياء الجميلة التي لم تحصل

بعد
تستدعي أن أنتشلها
من نومها

أهجع

فيما العالم يثب؛
يا متلازمة طوكيو اللعينة
حيث لا شيء ينتظر
يصير النوم
أرشيفاً
لا؟

لا نص يوقظني من كلماتك القليلة

سبرت أغوار النوم

فوجدتها أدنى
من سحيق ملذاتك
إليزابيث

النوم صندوق حياتنا الأسود
أمعاء الليل
وليمة الكوابيس المفضلة.

النيام كما النوم
ابتعدوا جداً
في هذا السرير.

فليعانقني كلُّ من عرف اسمي

قيس مصطفى *

1 / 1

عاش دون أن يُحب، بعدك، كأنه
المجرد، أو كأنه عشب ما ضائع في
كثير من عشب آخر، ونام، حين عاد،
من مشوار في البرد. ولا كأنه غنى
يوماً ما، أغنيات قديمة، ولا كأنه
بجل أناشيد. وعاش دون أن يُحب
لأنه دوماً شديد الإغراق، ومضيق
أوردة، وما شابه، وخطى تقود إلى
ضلالات شتى. وما مات إلى اللحظة
إلا لأنه مزيد عاش دون أن يُحب،
ولأنه شديد الإطالة في التذكر. لا
زاده من ذاك الذي يشفي نهم الجائع،
ولا ماؤه الدافئ يروي من القحط،
وأحياناً، وليس كثيراً، ينتابه البعد،
والسقوط في حنين إلى مخاوف. من
ضلعه المقوس يشد وترأ ويصوب
إلى دريئة ما في الرؤى، والقلوب
التي في حياتها.

سلاماً، وناراً، وماءً عليه حين يفيق
من إغفاءة ولا يعرف إلى أين يمضي،
وحين في جوفه تعب من السكر،
وفي رأسه رغبة أن يشرب بحراً
وامتداداته.

عاش دون أن يُحب، بعدك، كأنه
المُحدّد، أو كأنه سكة قطار ولا تنتهي
احتكاكاتنا حين تعبر قطارات تقل
من لا يدهشهم قطارات شمالية
تجعل الأقصي أقاصي لغيرهم.

كانت حياته غفلاً، دونك، وقصائده،
غفلاً، دونك، وكل أنشودة أنشدها،
عن أنهار كان يريدك معها، صاعدة
من أرض للأساطير إلى أرض بلا
حكايات تقل الدهشة وآلام القلوب
إلى مقابر فوضوية، وأخرى، شديدة
التنسيق

عاش دون أن يُحب، بعدك، باعتيادية،
ومات في عيشته المديدة لأنه أحبك.

2 / 2

الهواء يعبت بالنخلة، وهذا لا
ينبغي أن يحصل؛ كل نخلة صحراء،
وفي الصحراء، الريح فكرة، والفكرة
لا تهز شيئاً.

هناك جسر والجسر يهتز، وهذا لا
ينبغي أن يكون، فكل جسر جفاف،

وعلى كل جسر، البلبل استحالات،
والغرق أقصى الممكن، أما العبور
فرجان؛ فالجسر جسر.

الهواء يعبت بالجسر، والنخلة
تجتاز الجسر الذي يتأرجح.

الضفة الأخرى ليست بعيدة. هناك
من ينتظر وروحه صلابة كنواة
تمررة. لا شيء أكثر غريباً من نواة بلا
مداراتها: لا بد أن يسيطر الغيم على
الأعلى

امرأة تجلس في الأرجوحة.
الاندفاعات النواسية تخلخل
الفرسان الغريب

ما الذي يجمع النخل بالبحر عدا
أنهم يقومون بالتزيين!
كل مشهد يتدلّى من حلم ما. كل
مشهد ينبغي وضعه موضعه، ولقد
خرجت من بلاد كلها كوابيس.

الرفاق القدامى يتطايرون في
عاصفة الأمكنة. أمّ لهم ما يتشبثون
فيتشظون...

أين ينام طائر الصحراء؟!

الهليكوبتر تعبر هاهنا بسلام،
والحقير الذي أطبق الباب بقوة
جعلني أخذ وضعية الخائف
منطحاً، وأسدد ضحكة صفراء
ودموعاً لا مرئية إلى دريئة المستقبل.

3 / 3

رأيتهم يجذفون والماء مراياهم. ومن
بعيد ظننتهم ذوي رحل هارين في
الظلمات. وسمعت صفير الفرخين
بالوصول إلى ضفاف قلوبهم، وكان
طيوراً مجانين جلسوا في سدة
العقل

وأنا ما أغلقت باباً، ولا توانيئت،
وقلت: أسقيهم ماءً
كلهم هبطوا رملاً كأنها ستائر
فرشت لبتكي قمر سكران، وما قالوا

شيئاً، ولا استسقوني
سريعاً اتخذوا أماكن تحت نوافذ
تنبعث منها أضواء متفاوتة
البياض حد الصفرة التي هي صداع
القارئ.

كلهم عزفوا فاطلت عليهم نساء
مضوا بهن إلى مراكبهم
وأنا صرخت دون أن أسمع إليّ:

يا عازف السنائي لا تجلس تحت
شرفتها!!

ومن يومها لست إلا سرورة تنتظر
حطاباً.

4 / 4

برد الصباح، تأمل الجهاز العصبي
للشجرة الخريفية المائلة
وهناك بعيداً

عصافير الثلج القديم
وكان ناراً اتقدت من تلقاء نفسها
أو

انبثاق حرارة الشرق الفجائية
لشواء المزاج والأخيلة
ليس بمقدوري أن أكون نذراً
للعصافير ولا للبرعم المنبتق

مرّ وقت طويل ولم أصفح أحداً
اليدان الوحيدتان اللتان عبتنا
بأصابعي لشريطة

بصمات... بصمات... بصمات
أنتذكر يدي المتسختين بالخبز
ولا بهم، فالقلب نظيف؛

الملائكة لا تمنع أن تحط على كتف
الرجل ذي القميص غير المكوي
بلا قلب، كبانجانة متعزقة، وشخ
في التهاويم

برد الصباح، وعينان مسكونتان
بالطيور
ومغرورقتان بالأشجار

فليعانقني كل من عرف اسمي.

5 / 5

لانشغالات، لا أكثر، وليست قطاف
عنب وزيتون وما شابه
وإنما مصائر وأرواح وعبارات
ضئقة ورؤية أضيق..

وما اتكلف، وأجناد وجنود مجنّدة
لانشغالات، وأن الانشغالات، كثير
من قهوة العتمة، وما شاكل

وأحياناً، لا ينبغي الشكر، وأحياناً
أريد أن أفعل
لكن الجنوب هنا مشتعل، والظواهر

المروحية تأتي مع الليل
وموسيقاك، ليست من تلك التي يقال
لها: شكرًا،

فبعدها انهماكات،
وأن ظلالاً منفلتة من عقابها تسوقها
أضواء صفراء إلى جدران

مكسوة بغبار من مصادرتي
الوحدة وموسيقاك
وشكرًا...

6 / 6

وما الصباح، أن تشرق الشمس؟!
وما الصباح، أن تفرك عينيك
بأصابع بالكاك تتحرك؟! كلا. كانوا



«الرقصة»
للإيرانية تالا
مدني (زين
على كتان -
2015)

طوال الليل يلقون قنابل مضيئة
في السماء، وكانت تشرق الأنوار
الحربية من جهة التلال العالية، وأنا
أفرك عيني دائماً حين لا أصدق ما
أرى، وحين أنزل من امتطاء دراجة
نارية. فما الصباح إذًا، إن الصباح
هو علامات الصباح. كأن تقول: ليل
دأب، ولما بعد الظهر كنهة. أو أن تعب
أو كسجيناً زائداً عن حاجتك للنفس
الواحد، فتقول: للغروب سيماء.
مخطئ إن قلت: إن الظل امتناع
الشمس عن الوصول. أو إن الخسوف
هو تموضع. فما هما إذًا؟ هما
أشياء بذاتها. الظل هو الظل ياكل
ثلاث وجبات في النهار. والخسوف
موسمي كالفلكية. ثم ماذا؟ لا طائل
من الجلوس، وأنت تعلم، أنك من
سنتين ما زلت جالساً، على بطنك،
مثل حشرة كافكا. والعمل؟ لا شيء.
فكر بالحنان يغنيها موسيقي بارع
على اليرغول، وأنت تشوي أرنبا
اصطدته، على نار هي نار أنت
أشعلتها، وأنت تشرب خمراً مصنعاً،
وتنتظر حبا يهت من إحدى الجهات.
كل هذا، نعم. خذ الأشياء كما هي
و«اقتصد في السرد».

* شاعر فلسطيني